هيروديوم
دراسة تاريخية أثرية

د. إبراهيم أبو ارميس*

* أستاذ مساعد في التاريخ الوسيط/ كلية التربية/ جامعة القدس المفتوحة/ فرع بيت لحم.

ملخص:

هيرود الكبير: أحد الملوك المحليين في بداية العصر الروماني، استطاع من خلال شخصيته البراغماتية أن يتخطى مرحلة صراع الأباطرة، وأن يبرز كملك فعلي قوي ذي سلطة ونفوذ، فأخمد النزاعات والصراعات، وقضى على منافسيه، وسيطر على أجزاء واسعة من فلسطين، حيث أقام فيها عدداً من الأبنية والصروح الضخمة، والأسوار والقلاع، كما حفر العديد من القنوات التي أوصلت المياه إلى أجزاء مهمة من المملكة، وخاصة القدس.

دارت حول شخصيته العديد من الروايات، فاعتبره بعضهم طاغية، واعتبره آخرون ابن عصره في منطقة تعيش النزاع والصراع المستمر، ومع ذلك فقد أثبت وجوده في التاريخ من خلال أعماله العمرانية وتجنيبه المنطقة حروب الإمبراطوريات.

أقام هيرود قصره أو قلعته المشهورة جنوب بيت لحم على تل عال يشرف على المنطقة من جهاتها الأربع، حيث احتفظت حتى يومنا هذا بسماتها الأساسية، وهي قلعة محصنة على تل مخروطي يتربع القصر على قمته، وقد تميز بهندسته الفريدة الدائرية حيث أوجد فيه برجاً دائرياً شاهقاً للمراقبة، وثلاثة أبراج نصف دائرية متقابلة تطل على الجهات الأربع، وفيه فناء ملكي ضخم، وحمامات على الطراز الروماني حيث الأروقة والممرات والأعمدة والأسقف الجمالونية. وعلى سفحه أقام مضماراً لسباق الخيل والعربات، ومدرجاً رومانياً لألعاب تلك الحقبة ومهرجاناتها. كما أقام بركة ضخمة أسفل التل وعدداً من الأبنية إلى جوارها، اشتملت على حمام عام، مع عدد من الغرف ذات الوظائف المختلفة، وإلى شرقها بناية ملكية كبيرة مع شرفات لاستقبال الزوار والقادة، كما كان هناك بناء على الطراز الروماني حفظت فيه تماثيل الآلهة والأباطرة.

في الحفريات الأخيرة كُشف عن عدد من الأبنية على سفح الجبل، منها: منصة حجرية ضخمة، يعتقد أنها ضمت رفات الملك وقبره، بالإضافة إلى عدد من الكنائس في الفترة البيزنطية مازالت آثارها شاهداً عليها.

استطاع هيرود أن يستقدم المياه إلى القلعة بطريقة فذة، حيث استغل ميل الأرض إلى الشرق باتجاه البحر الميت، فأسال مياه منطقة العروب وأرطاس إلى مجمعات المياه أسفل التل، كما استغل المسقفات أعلى الجبل، فحفر عدداً من الآبار في جوفه ليؤمن حاجة قاطني القصر اليومية. وأغلب الظن أن المنطقة في عصره كانت أشبه بالجنة، حيث الأشجار والبساتين والنباتات التي قامت على الري المباشر من مياه القنوات. على اعتبار أن المنطقة شبه صحراوية، تشح فيها مياه الأمطار.

إن هندسة القصر وأسلوب بنائه الفريد على قمة تل على شكل مخروطي يعبر عن قدرات عظيمة لملك رسخ نفوذه رغماً عن محبيه وكارهيه، فضلا عن وجوده في منطقة على أطراف الصحراء بعيداً عن الحواضر العمرانية.

Abstract:

Herod the Great, one of the Kings in Palestine at the beginning of the Roman age, was able through his pragmatic personality to pass the era of emperors, conflict and to popularize himself as an effective and powerful King. He settled down conflicts, wiped out competitors, and ruled over the area extending from the Mediterranean to the Jordan River. He constructed several cities, many huge buildings, walls and castles. He dug several acquasystem canals which carried water to many important parts in the Kingdom, especially Jerusalem.

Many stories were given about his personality. Some historians considered him as a dictator while others referred to him as a pragmatic person who understood the nature of the temporary conflicts, proved his personality and saved the area from wars between great empires.

Herod built his castle south of Bethlehem on a high mountain in which you can see the lower directions. It is a strong and huge castle on a cone shaped mountain distinguished by its unique circular design. He also constructed high circular tower and bathrooms in the Roman style in which you can find paths, passages, columns and arch ceilings. At the bottom of the mountain, Herod built a race cycling for horses, and the theatre for games and ceremonies. Furthermore, he created many buildings with many rooms for different purposes. To the west of these buildings, he had a royal building for leaders and visitors and a special building for the Gods' Statues.

In the recent diggings, many building were discovered within the mountain in which they found the tomb (grave) of the King and many other churches.

Herod could irrigate the castle in a very genius way since he used the low areas toward The Dead Sea and brought water from Al- Arroub and Artas and kept it in huge wells under the mountain. Many people think that the area in that age was similar to heaven. In conclusion, the way the castle was built in expressed the King's ambitions to stay always on the throne, despite all his lovers and enemies he remained remembered an area in the desert in the old age.

مقدمة:

على طول المسافة الجغرافية في فلسطين تناثرت المواقع الأثرية البسيطة والمعقدة، والتي تحدثت عن أقوام استقروا ثم اختفوا، وكان ذلك في فترات وحقب التاريخ جميعها.

في هذا البحث تحدثت عن قلعة هيرود وقصره جنوبي القدس، حيث تناولنا المشهد التاريخي، وحراك الإنسان المحلي في الحقبة الرومانية، فقدَّمت للبحث بموجز يصور الأحداث التاريخية، وصراع القوى العظمى للسيطرة على المنطقة إلى ظهور هيرود، كملك غير يهودي على المنطقة، حيث استطاع كسب ود روما لتثبيت حكمه، وذلك بشخصيته البراغماتية المتفردة التي تراوحت بين العسكرية المغامرة، والسياسية البناءة.

تناولت الموقع الأثري بالوصف، فتحدثنا عن مخطط (الهيروديوم) من خلال المشاهدة المباشرة للموقع ومقارنته بالكتابات القديمة والحديثة، كحالة عمرانية فريدة لم يسبق لها مثيل من حيث التصميم وهندسة البناء الدائرية على قمة تل مخروطي، حيث أُزيلت قمة التل وسُويت بشكل مسطح وأُقيم جداران متوازيان بثلاث شرفات، وبرج مراقبة ضخم، ثم طُمر الجداران على حواف التل الخارجية ليظهر البناء، وكأنه خارج من فوهة بركان طبيعي. ثم أقيمت الأبنية داخل الفوهة لتشكل في مجموعها وحدة متجانسة، يضاف إليها عدد من الآبار والمرافق داخل بطن الجبل.

كذلك تحدثت عن فلسفة التصميم، وتعرضت للأبنية عند قاعدة وسفح الجبل، مثل البناية الملكية والحمام الروماني، ومضمار سباق الخيل، والبركة التي استقدمت إليها المياه من مناطق بعيدة عبر قنوات صخرية، وبرك تجميع أسهمت في دفع المياه إلى الأعلى كي تصل البركة المذكورة، دلالة على الأهمية الإستراتيجية للموقع، والجهد المبذول في إنجازه، كخط دفاع أساسي عن الطريق التجاري القديم المتجه من الجنوب إلى الشمال وتفرعاته باتجاه الشرق.

إن التصميم النادر للبناء، وقدرات الإنسان المحلي هي التي قادت إلى هذا البحث الذي ضمناه بعض المكتشفات الحديثة في منطقة الهيروديوم كالكنائس البيزنطية، وضريح هيرود، والمسرح الروماني، والتي شكلت في مجموعها وعند الإقامة، وحدة سياسية وسكانية متكاملة. رغم عوامل الجفاف وقلة المياه، وقسوة المناخ في الصحراء الفلسطينية.

هيروديوم دراسة تاريخية أثرية:

في أقصى الجنوب الشرقي للإمبراطورية الرومانية، قامت مملكة هيروديوم تحت سلطة روما، حيث احتلت مكانة بارزة في التاريخ المحلي القديم، وتركت علامات واضحة تتمثل بالمعالم العمرانية الضخمة من قلاع وحصون ومدن ما زال أثرها قائماً حتى اليوم، إلا أن حقيقة الحراك الاجتماعي تفرض نفسها بطريقة أو بأخرى على أنه حراك محلي فلسطيني رغم المسميات والاستلاب الحديث، ولأن الأثر القائم يعدُّ أعظم دليل على حركة الإنسان، فسأحاول إلقاء الضوء على حقبة مهمَّة في ذلك التاريخ إلى ظهور الملك هيرود، ووصوله إلى السلطة، التي تمثلت بالقصر والقلعة المعروفة باسم هيروديوم، حيث ذكرت بعض المصادر التاريخية والأثرية أن الأخير قد دفن في الموقع ذاته.

المشهد التاريخي:

استولى يوليوس قيصر على العرش في روما عام ٤٦ ق م، وذلك بعد وفاة بومبي، فولىي الأدومي أنتباتر الحكم من قبل روما، وذلك لإدارة البلاد في العام ذاته، كما عين هيركانوس الحشموني رئيسا للكهنة وحاكما على القدس باسم روما، مما أدى إلى ضعف النفوذ الكابي القديم، ومع مرور الزمن وتولي هيرود بن أنتباتر السلطة أدى ذلك إلى ضعف مركز الحشمونيين، وقد سيطر الأخير على مقاليد الحكم والكهانة العظمى، والذي ترتب عليه تغيير النظام السياسي والديني عموما في المنطقة [١].

تعود جذور أنتباتر والي أدوميا إلى أصول عربية، فقد تزوج من امرأة عربية نبطية اسمها سيبروس، أنجبت له أولاداً ومن بينهم الملك هيرود الكبير [٢]. وفصايل الذي قام بإدارة القدس في الوقت الذي أدار فيه هيرود الجليل [٣].

في المشهد التاريخي، وتسلسل الأحداث أنجد أنتباتر يوليوس قيصر في مصر بجيش من ثلاثة آلاف مقاتل، بالإضافة إلى فرق أرسلها مشايخ القبائل العربية في جنوب فلسطين وسيناء وعلى أثرها نال أنتباتر ما يسمى بالمواطنة الرومانية فأصبح نائبا للقيصر في فلسطين، وبذلك ملك زمام الحكم، وتغلب على مركز الكهانة الحشموني، مما أوغر صدر هركانوس الذي أوعز بقتله بعد موت يوليوس قيصر [٤].

عقب اغتيال القيصر قامت مملكة الفارثيين (الفرس) في بلاد ما بين النهرين وما وراءها بغزو سوريا وذلك خلال الفوضى الناشئة عن الفراغ السياسي في روما، فرحبت الأسرة الحشمونية بالغازين [٥]، وتمكن انتيغونس ابن أخت هركانوس من الحصول على تأييد القائد الفرثي برزفرناس (Bazapharnas) ضد أبناء أنتباتر فصايل وهيرود، حيث

دعي الرجلان مع الكاهن هركانوس إلى مخيم الفارثيين في مدينة إكدابيا أو اكزبيا وهي الزيب الحالية شمال عكا لعرض قضيتهما على القائد الفارثي، فذهب فصايل مع هركانوس، وتخلف هيرود إذ إنه أدرك أن في الأمر مكيدة، وهناك تم حبسهما وتنصيب انتيغونس ملكا وكاهنا أعظم في القدس، ثم أرسلهما إلى الملك الجديد، فانتحر فصايل في الطريق إليه، أما هركانوس (خال الملك الجديد) فتقول الرواية أن انتيغونس قام بقطع أذنيه كي يحرمه من تولي الكهانة في المستقبل، وقد ظل انتيغونس في منصبه ثلاث سنوات [٦].

في صراع الأباطرة الرومان بعد مقتل القيصر، اندلعت حرب أهلية بين القادة، كان من نتائجها أن اقتسم حكم الإمبراطورية كل من أنطونيوس وأوكتافيوس، فكانت سوريا من نصيب أنطونيوس التي اجتاحها الفارثيون، كما سبق ذكره فاحتلوا بلاد الشام بما فيها فلسطين عام (٤٠– ٣٨ ق م) . إلا أن أنطونيوس تمكن بعد مدة قصيرة من استعادة البلاد. وفي عام (٣٧ ق م) . دخل مدينة القدس وعين هيرود [٧] حاكما عليها، ومن هنا بدأ نجم هيرود بالصعود.

هيرود العظيم:

هو هيرود بن أنتباتر الذي لقب بالكبير والذي حكم المنطقة في العام ٣٧ ق م، وذلك لتمييزه عن ملوك عدة بعده يحملون الاسم نفسه مثل هيرود أغريباس وغيره. وهو ابن أنتباتر الأدومي، وأمه سيبروس النبطية، وهي ليست يهودية، إذ إن التشريع اليهودي ينص على يهودية الأم في الانتماء إلى الديانة، وليس الأب، وبهذا يعد أول حاكم أجنبي يحكم اليهود من قبل الرومان.

يورد المؤرخ اليهودي يوسيفوس أن أنتباتر الأب كان قد أسر في طفولته من قبل بعض لصوص الآدوميين وعاش معهم، وقد عجز أبوه عن دفع فدية عنه لفترة، ولما شب على عوائدهم صار فيما بعد صديقا لهيركانوس رئيس كهنة اليهود [٨] .

وبتولي هيرود الحكم تحققت نبوءة سفر التكوين عن علامة مجيء السيد المسيح، والتي قالت أنه سيولد عندما يملك على اليهود ملك ليس يهودي ونصها «لا ينعدم رئيس يهودا ولا حاكم من بين رجليه حتى يأتي ذاك الذي حفظ له». ولم تتحقق النبوءة المذكورة حتى هيرود الكبير الأدومي الجنس لأن اليهود هم الجنس الوحيد في البلاد التي تحت الرومان، كان مسموحاً لهم أن يحكمهم ولاة يهود منذ عهد موسى النبي عليه السلام إلى حكم أكتافيوس (أغسطس) الذي ثبت هيرود الكبير في الحكم، وبالتالي كان أول أجنبي

يحكم اليهود. وعلى اعتبار أن الأدوميين وقعوا تحت حكم اليهود، فإن ذلك لم يغير ثقافتهم المحلية، واليهود في منطقة القدس كانوا يعتبرون هيرود غريباً عنهم، كما لم يكن يهود الجليل أقرب إليه منهم. ولكن الجميع قبلوا به مرغمين، وقد خلفه في الحكم أفراد من أسرته، لكن الفرق بين هيرود من جهة، وبين أبنائه وحفيده من جهة أخرى كان كبيرا جدا [٩]. من حيث القدرة على البناء، وعلى إدارة الصراع وفنونه.

والأدوميون لم يكونوا يهودا في الأصل، إلا أنهم هزموا على أيدي اليهود واضطروا إلى اتباع مراسم الختان، بحيث اعتبروا في عداد الشعب اليهودي واتبعوا العادات نفسها، ومن هؤلاء المتهودين الملك هيرود الذي أدى فيما بعد دوراً مركزيا في تاريخ المنطقة. [١٠]

بعد سقوط سوريا في يد (انتيغونس) كما سبق. توجه هيرود إلى روما، حيث كسب ثقة أنطونيوس وأكتافيوس، قطبي الزعامة الرومانية، فعينه مجلس الشيوخ ملكاً على منطقة القدس، وكان عليه أن ينال مملكته بحد السيف، حيث عاد إلى سوريا وألقى مراسيه في بطوليمايس (عكا) . وكان حاكم المنطقة الروماني قد أخرج الفارثيين من البلاد. وهناك أمد الوالي هيرود بثلاثة آلاف جندي روماني بالإضافة إلى جيش من أبناء القبائل العربية. فاحتل يافا (٣٩ ق م) واتجه إلى حصن مسعدة (السُبّة) على الساحل الجبلي للبحر الميت من الغرب. فأنقذ عشيرته التي احتمت في الحصن عند استيلاء انتيغونس على السلطة، ثم انعطف على أجزاء المملكة الموعودة فاحتلها جميعها باستثناء القدس (٣٧ ق م) والتي دخلها سلماً باتفاق مع القائد الروماني الذي طرد الفارثيين منها لقاء مبلغ من المال. وهناك حمل القائد الروماني انتيغونس أسيراً إلى أنطاكيا حيث أعدم بناء على طلب هيرود[١١] .

وقد نجحت براغماتية هيرود في تحقيق طموحه، حيث استطاع كسب التأييد الروماني له ولأسرته على الدوام، فقد كان شديداً في مراقبة خطواته لضمان هذا التأييد، ولا أدل على ذلك من موقفه حيال انتصار أكتافيوس على أنطونيوس في أكتيوم (Actium ٣١ ق. م) ثم انتحار الأخير، فقد كان أنطونيوس راعيا لهيرود منذ انتصاره الأول في معركة فيلبي (٤٢ ق م) وكان هيرود نصير أنطونيوس المحلي، أما بعد المعركة الفاصلة (أكتيوم) بين الأباطرة، فتغير الوضع، وأصبح أوكتافيوس سيد العالم الروماني. حيث سارع هيرود إلى زيارة السيد الجديد المعسكر في رودس، ومثل بين يديه ورفع التاج عن رأسه ووضعه عند قدمي أوكتافيوس، فأعاد الأخير التاج إليه، أي ثبته على ملكه من جديد، كما وسع المنطقة التابعة له، وقد ظل هيرود طوال حياته مواليا لأوكتافيوس الذي حمل فيما بعد لقب القيصر أوغسطس [١٢] .

ومن مظاهر سياسته الناجحة انه ربط نفسه مباشرة بالرجل الأول في روما، وليس تحت سلطة والي سوريا الروماني الحاكم للمنطقة جميعها، وكان عليه واجبات نحو العاصمة العالمية مثل تقديم الجنود والدفاع عن حدود الإمبراطورية المحيطة بملكه، وخاصة مملكة الأنباط المتاخمة والتي خاض معها حروباً عدة إلى أن احتلها الرومان [١٣].

لقد أحب الرومان هيرود، وساعدوه على توطيد حكمه في البلاد فاجتهد في نشر آدابهم وتقاليدهم ومدنيتهم، فرضي عنه الإمبراطور أوغسطس. حتى قيل إنه لم يفضل أحدا عليه سوى وزيره الأول. فكان كلما أتى إلى الشرق يقصده هيرود ليقدم له الهدايا والمعونة فصارت له حظوة ومكانه عند الإمبراطور، فولاه ولايات عدة فضلاً عن فلسطين واستثنى بعض المدن اليونانية في الساحل وفي شرق الأردن، فكان حكمه يشمل البلاد الواقعة بين الصحراء والبحر، ومن سفوح جبل الشيخ إلى سيناء [١٤].

لم يكن هيرود يهتم اهتماماً خاصاً بالقضايا الدينية، وكان اهتمامه منصباً على البناء والعمارة فبنى في سبسطية (قرب نابلس) هيكلاً مكرساً لأوغسطس. وكان آخر تكريم يوناني روماني حصل عليه هو رياسته للألعاب الاولمبية. ومن هنا فإنه عندما أراد أن يصنع مخططا جديدا للقدس كانت فكرته أن ينشئ عاصمة كلاسيكية. وكانت سلطته وثروته من الضخامة بحيث أن بعض مبانيه الضخمة، وكثيراً من شوارعه ما زالت تستعمل اليوم [١٥].

وبما أن أباه قد تهود بالقوة كما سبق ذكره واستمراره في اليهودية يعود لأسباب تتعلق بمركزه السياسي وعلاقته بكاهنه هيركانوس الثاني، فقد كان هيرود أيضا يهوديا، ولكن يهودية هيرود كانت مجرد قشرة خارجية، ويعتقد أنه كان لا يحمل مذهباً دينياً معيناً، بل كان معتقده توفيقيا تعدديا، وهذا ما كشفت عنه مواقفه من مختلف المعتقدات الدينية التي كانت سائدة في فلسطين وسورية، فقد بنى معابد كثيرة، وتبرع للتجمعات الدينية المختلفة لبناء معابدها. وعلى الرغم من أنه أعطى اليهود معبداً سامقاً في أورشليم من خلال توسيع وإعادة بناء وتزيين هيكل زربابل القديم، إلا أنه قد غير المفاهيم التي يقوم عليها الهيكل الجديد وحوله من معبد مكرس للإله اليهودي إلى صرح ديني عام لأبناء المنطقة [١٦].

ولأنه من أصل أدومي، وأمه غير يهودية ولم يكن مؤهلا لتولي الكهانة الكبرى، فقد جرد المنصب من الصلاحيات جميعها، المدنية والسياسية وحصرها في المسائل الدينية،

واستبعد منها العائلات التي كانت لها صلات بالحشمونيين، واستبدلها بأخرى مغمورة وموالية له وأوقف نهج تعيين الكاهن الأكبر مدى الحياة [١٧] .

وحكم هيرود كان مكروها لظلمه وبطشه ولثقل الضرائب، كما كرهه رجال الدين لمخالفته عاداتهم وتقاليدهم، وبدأ حكمه في الظاهر براقا فقد خلت فترته من الحروب، وقضى على العصابات اليهودية في الجليل ومع أن اليهود في منطقة القدس كانوا يعدونه غريباً عنهم «لأنه ادومي» ولكن الجميع قبلوا به مرغمين [١٨] .

هذه الكراهية لم تنسحب على عامة الشعب، بل عممت برواية يوسفوس اليهودي، وإلا ما الذي يمثله الاستقرار السياسي والمدني وحركة العمران الهائلة التي قادها هيرود، والتي كانت ركيزتها الوفرة الهائلة في خزينة الدولة، حيث ارتفعت الزراعة كركيزة اقتصادية رئيسة، ثم ازدهرت التجارة والصناعة، حيث ملك هيرود عقارات واسعة ورثها من عائلته في أدوم، وضم إليها المصادرات الكثيرة من الخصوم السياسيين الذين صفاهم، وعلى رأسهم الحشمونيون وأنصارهم. وجبى هيرود ضرائب دائمة على الرأس وعلى الأرض، وأخرى موسمية مثل ضريبة التاج، كما فرض المكوس على السلع التجارية، وضريبة على استعمال الطرق والجسور والموانئ، وعلى البيع والشراء، كما على البيوت، وعلى العموم. فان هيرود سار على النهج اليوناني، ولم يتورع عن أي وسيلة تزيد في مداخيله الضخمة، فكان العبء المالي على رعاياه كبيراً مما سبب حالة من التذمر، لكن هيرود استطاع معالجتها بوسائل متعددة – الترهيب طوراً والترغيب حيناً [١٩] . وتذكر الدكتورة خيرية قاسمية أن أعماله في مجال العمران والزراعة اقتضت نفقات باهظة كان يغطيها من المكوس والضرائب، ومن أملاكه الخاصة في منطقة غور الأردن، ومن الإقراض الذي كان أمراً يعرفه هيرود بحكم صلة أسرته بالمنطقة [٢٠] . وبهذا الثراء أتاح هيرود لنفسه الإقلاع في حركة بناء ناشطة، فأقام بلاطاً فخماً في أورشليم، وعددا من الحصون إضافة إلى القلعة (أنطونيا) ، على اسم ماركوس أنطونيوس ومسرحاً ومدرجا. وأعاد بناء الهيكل بصورة فخمة، لم يسبق لها مثيل وفضلاً عن عدد من الحصون والمنتجعات – الهيروديوم وفصايل نسبة إلى أخيه شمال أريحا، وأنتباترس وهي خربة رأس العين اليوم، حيث منابع نهر العوجا للشمال الشرقي من يافا، ومسادا تقع غربي البحر الميت، والمكاور، قرية صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من حمامات ماعين في الأردن، وغيرها– فقد بنى مدينتين كبيرتين هما قيساريا (قيصرية) على موقع حصن ستراتون وسبسطية على موقع السامرة وبلغت قيساريا على الساحل شأناً عظيماً في ضخامتها وأهميتها الاقتصادية،

فقد أصبحت الميناء الرئيس لمملكة هيرود وسبسطية التي أحب الملك موقعها. بناها على النمط الهليني بإذن من الإمبراطور، ودعاها على اسمه، فحسنها وزينها، ووطن فيها عدداً من جنوده المسرحين وأقطعهم الأرض، كما أقام لنفسه قصراً فخماً وبني منتجعات في أريحا، وملاذاً في مسعدة على البحر الميت (٢١) ، هذه الحصون والقلاع وغيرها كان يقيمها بهدف إيجاد أماكن يتحصن بها إذا اقتضى الأمر (٢٢) . فعصره يعدُّ عصراً جديدا في البناء يسهل تمييزه، فالحجارة كبيرة الحجم مصقولة، وسطها ناعم، وملطشة، ومحكمة الالتصاق ومرصوفة البناء بشكل جداري. وتبرز نتوءات في وسط كل حجر (٢٣) .

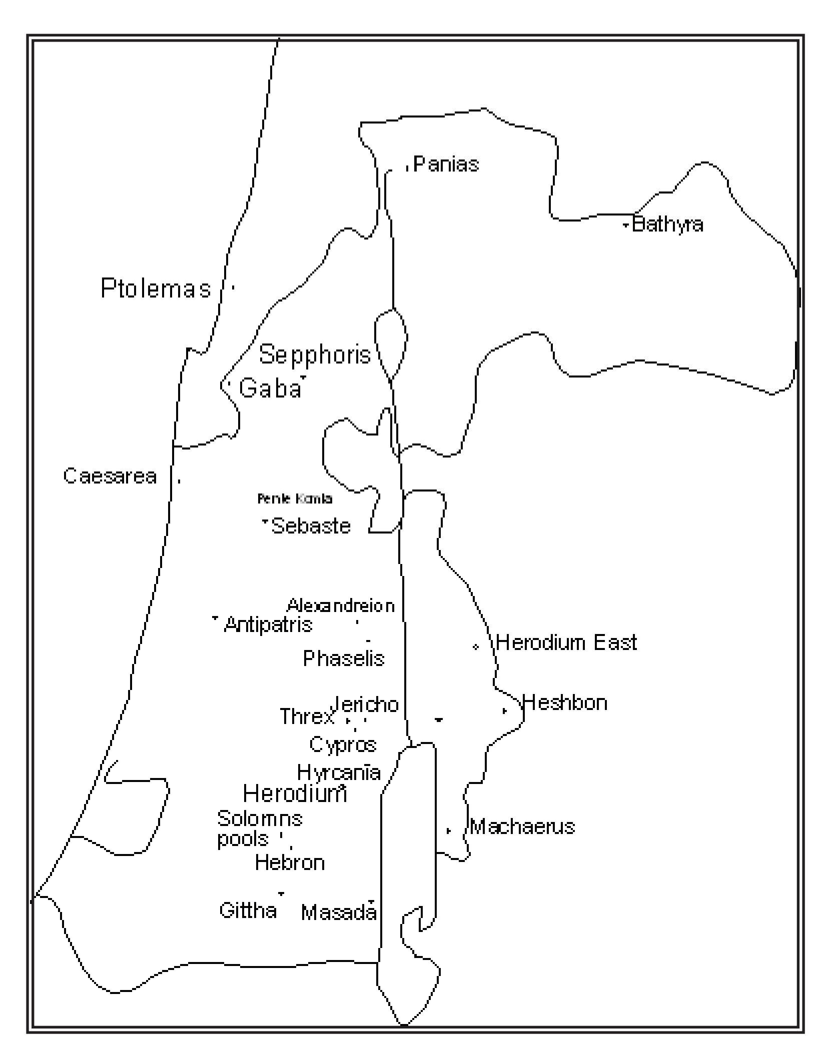
من أكثر الأشياء المثيرة للاهتمام والانتباه في مباني هيرود موقعها الجغرافي، بالإضافة إلى احتفاظها بمعالمها الأثرية فالقلاع تقع جميعها في مواضع درامية، وإثارة، واضطراب، **كما أن لها العديد من الأشكال المختلفة التي تميزها، وهي**:

- **أولا**: الأسوار، فقد بنى العديد من أسوار المدن وأصلحها مثل: قيساريا، وسبسطية، والقدس، بالإضافة إلى أنه بنى العديد من الأسوار في أماكن أخرى.

- **ثانيا**: القلاع الأولى، لم تقدم المصادر الأدبية والأثرية، أية معلومات مؤكده عنها، ولكن من المؤكد بأن القلاع التالية الرئيسة هي من أعمال هيرود، كالانطونية في القدس ومسعدة، والكسندريوم – تقع في الغور النابلسي– وأيضا الهيروديوم في الجنوب.

- **ثالثا**: القلاع والأحياء الغنية، معظم قلاع هيرود التي لها طابع شرقي تميل أكثر إلى الحياة الملكية عن كونها قلاع حماية مثل أبراج فصايل، وهيباكس، ومربامي، وهي متحدة تحمي القصر الملكي في القدس.

- **رابعا**: سلسلة من القلاع الموجودة في منطقة أدوميا (الشريط الممتد على غور الأردن إلى صحراء النقب) ، مثل قلعة أجربينا التي تعد مركز القلاع الصليبية وهذه القلعة تحتل المنطقة التي تطل على بحيرة الحولة وتعرف في العصر الصليبي باسم كوكب الهوى، وأيضا قلعة حسبان من القلاع التي عملت في منطقة هيرود. وقد صممت على أساس دفاعي، وذلك للدفاع عن المملكة من العدوان الخارجي وهذا النسق مزود بنظام أمني داخلي ليكون ضد المتربصين في الداخل، بالإضافة إلى أن هناك سلسلة واحدة من القلاع التي تعد خطَّ دفاع قوياً ضد هجوم خارجي محتمل، وهي قريبة بما فيه الكفاية للحفاظ على الأمن الداخلي في وقت الحاجة ومن هذه القلاع هيركانيا، ومكاور، وسيبرس والاسكندريون، وأريحا اغريبنا. فمن خلال الإشارات التي ترسل بين هذه القلاع يستطيعون الدفاع بسهولة عن الحدود ضد الهجمات، شكل ١ (٢٤) .



شكل (١)

خارطة تفصيلية تبين المواقع التي تنسب إلى هيرود (٢٥) .

هيروديوم «الفرديس»:

الموقع:

على الحافة الشرقية للانحدار العظيم باتجاه البحر الميت، تقع قلعة هيروديوم على تله ترتفع ٧٥٨م فوق سطح البحر على بعد ١٣ كم جنوب القدس، وحوالي ٥ كم جنوب بيت لجم، قرب الطريق القديم إلى البحر الميت، وهي تبدو للناظر كفوهة بركان خامد، ومن

أعلى القلعة تنكشف أمامنا الصحراء بجبالها وتلالها، كما يشاهد مياه البحر الميت وتلال شرق الأردن على مد البصر. كما يظهر للمدقق آثار قلعة مسعدة ووادي خريطون التاريخي. ورأس النقب. وفي الوقت الحالي اجتاح العمران منطقة القلعة ومحيطها فمن الغرب تظهر بيوت قرية تقوع وأبو نجيم وفي الشمال الغربي زحفت مدينة بيت لحم وبيوتها وعمائرها، والى اليمين نشاهد مدينة بيت ساحور ودير مارسابا بالإضافة إلى القدس وأبوديس. ثم وعلى أقدام القلعة مباشرة تتناثر منازل قرية زعترة وبيت تعمر التي زحفت على مخلفاتها وآثارها. واقتربت الشوارع المعبدة على أطرافها حتى تكاد تمسها مباشرة وعودة إلى هيرود الذي قسم البلاد إلى ألوية «طوبارخيات» لكل منها مركز إداري فقد كان الهيروديوم طوبارخية قائمة بذاتها، وعلى رأسها مسؤول يعرف باسم الطوبارخوس [٢٦] .

تاريخ البناء:

إن المرجع الأدبي الرئيس لتاريخ هيرود هو كتابات يوسفوس فيلافيوس، كما أن المؤرخ Pliny ذكر قلعة هيروديوم، كذلك هناك وثائق عدة من زمن حرب باركوخبا [٢٧] . وقد بنيت قلعة هيروديوم على البقعة التي حقق فيها هيرود واحداً من أهم انتصاراته على الحشمونيين ومؤيديهم عام ٤٠ ق. م، وذلك عندما كان هيرود منهزما من القدس في طريقه إلى مسعدا هارباً من ماثيا انتغونس والبارثيون [٢٨] .

ودراسة كتاب الآثار اليهودية وكتاب الحرب اليهودية ليوسفوس تساعدنا في تحديد التاريخ الدقيق لبناء الهيروديوم، وفي كتاب الآثار الفصل الخامس عشر يقول يوسفوس أن هيروديوم بني بعد الزواج الثاني للملك هيرود من ابنة Simon Boechus الكاهن الأعظم، وعلى الرغم من أن التاريخ الدقيق غير معروف، فإن آخر حدث تاريخي مذكور قبل حفل الزفاف هو الحملة المشهورة Aelius Gallus إلى بلاد العرب عام ٢٤ ق. م، وأول حدث ذكره يوسفوس بناء قيصرية في السنة الثامنة والعشرين من حكم هيرود بعد عشر سنوات من العمل فيها، ومن هنا يمكن أن نستنتج أنها بدأت عام ٢٢ ق. م، وهي السنة التي قام فيها Agrippa Marcus Vis Panius بزيارة يهودا ليرى جبل هيروديوم والأبنية الحديثة الأخرى التي بناها هيرود [٢٩] .

التسمية وأسباب البناء:

إن الهيروديوم هو المبنى الوحيد بين المباني الكثيرة التي شيدها هيرود في مملكته الذي يحمل اسمه، ولعل السبب في ذلك انه أراد أن يكون مكانا لدفنه عند موته إذ يقول يوسفوس فيلافيوس «كما أرسل هيرود إلى الخلود عائلته وأصدقاءه، وكذلك لم يهمل تخليد نفسه فبني قلعة على جبل باتجاه بلاد العرب وسماها على اسمه هيروديوم» [٣٠] .

أما الأب يوجين هود الفرنسيسي فذكر أنه يعرف باسم جبل فرديس وعند الأجانب جبل الإفرنج، ويسمى تاريخياً هيروديوم لأن الملك هيرود أمر ببنائه على هذا الشكل (٣١). وفي القرن ١٥م أعطى الرحالة الإيطالي F. Fabri لجبل هيروديوم اسم جبل فرنك وعلى ما يبدو أن هذه التسمية كانت من خياله (٣٢) ، كما ادعى أن هذا المكان هو الذي توقف فيه الصليبيون بعد استيلاء المسلمين على القدس وقد احتفظ الجبل بهذا الاسم حتى القرن التاسع عشر (٣٣)، أما الرحالة Baedeker فقد قال ان التل يدعى باسم Ferdis أو F-reidis أي الجنة، أما بالنسبة للأوروبيين فيعرف باسم جبل فرنك ويذكر انه عرف منذ وقت الحروب الصليبية وصمد لوقت طويل ضد المسلمين وهذه المعلومات من القرن ١٥م(٣٤) . كذلك وردت هذه التسمية لدى وليم البريت، إذ قال إن أشهر مبنى معروف عند العامة هي قمة جبل فرانك النائية جنوب بيت لحم (٣٥) . أما بالنسبة إلى الاسم العربي للهيروديوم فهو جبل الفرديس الذي اشتق من اسم هيرود. كما سمي باسم هيرود في الوثائق التي عثر عليها منذ زمن باركوخبا، وقد أكدت الحفريات الأثرية التي تمت في الموقع بشكل محدد، التطابق ما بين جبل الفرديس مع جبل هيرود على انه الموقع نفسه (٣٦) .

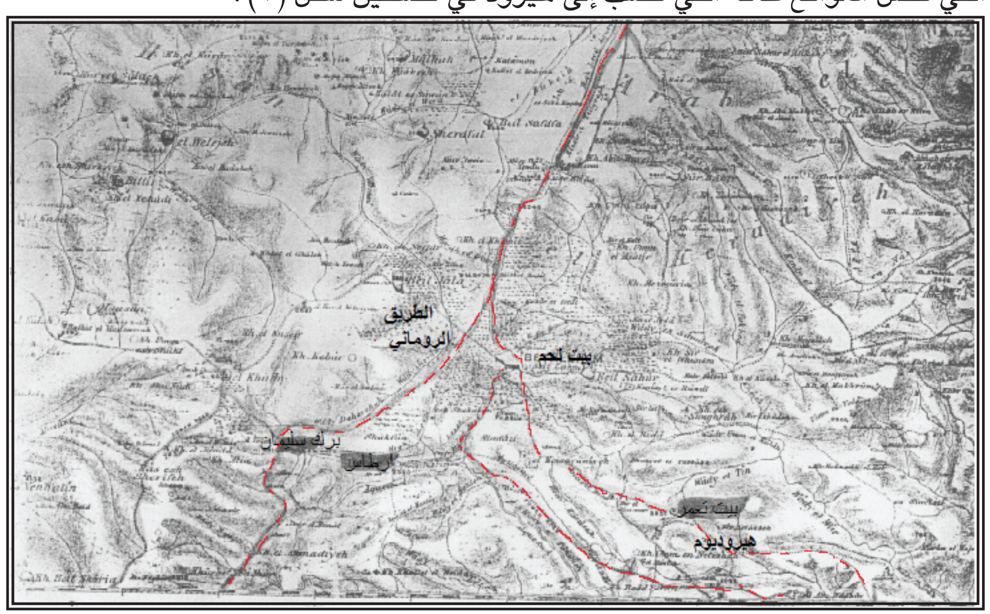
أما بالنسبة للأسباب التي جعلت هيرود يقدم على هذا العمل المعماري الضخم وانجازه ليقوم بوظائف أرادها هيرود في الهيروديوم الذي يعدُّ المشروع الأضخم بين قصوره، ويمكن تلخيصها في أنه:

مكان دفن لهيرود. حيث وصف يوسفوس، انه عندما مات هيرود، أُحضرت جميع الحلي الملكية لزيادة أبهة وعظمة المتوفى، وكان هناك تابوت كلل بالذهب، وطرز بالأحجار الكريمة والأرجوان وسجي الجثمان على سرير مع تغطيته بالأكاليل والأرجوان، ووضع على رأسه تاج من الذهب وصولجان في يده اليمنى، وبالقرب من التابوت كان أبناء هيرود وعدد كبير من المقربين وعدد كبير من الحرس، جهز الجميع كما لو كانوا في طريقهم إلى الحرب وذهب بقية الجيش بعد أن قاده ضباط بانتظام، وخلفهم خمسمائة من الخدم المحليين يحملون العطور والتوابل في أيديهم، حيث أعطى هيرود الأوامر ليدفن هنا(٣٧) . كما أن الهيروديوم بني ليكون مركزاً لدولة واحدة (٣٨) ، هذا المجمع الضخم يصلح أن تسير فيه أمور الدولة لأسباب عدة أهمها قربه من القدس وكذلك احتواؤه على المرافق الإدارية المختلفة التي يمكن أن تدير دولة وتشرف عليها. ثم أنه نصب عظيم يخلد لمعركة حاسمة في الموقع، إذ يذكر يوسفوس انه عندما خلق البارثيون لهيرود المتاعب باستمرار خاض معركة ضدهم وقتل عدداً كبيراً منهم، وبعد ذلك بنى قلعة تذكارية تعدُّ من أعظم الأعمال، والأكثر كلفة بين قصوره وأقام تحصينات قوية، ودعاها باسمه هيروديوم (٣٩) . ولكن لا يوجد معلومات دقيقة عن موقع المعركة على الرغم من أن الهيروديوم يقع على الطريق

الذي يؤدي من القدس إلى أدوم ومسعدة والبتراء ومن هنا قد يكون اختيار الموقع قد تم نتيجة لمعركة خاضها في هذا الموقع.

كما أن هيروديوم بناه لتخليد اسمه، فكما سبق وأن أشرنا في مواقع مختلفة من هذا البحث، فهو المبنى الوحيد الذي يحمل اسمه، ويذكر Netzer إن تسمية المواقع والمدن بأسماء الملك وأفراد الأسرة والأصدقاء أمر شائع من هيرود في أيامه. ويعدُّ المكان مجمعاً كبيراً ولا توجد صعوبة في تحديده، وبقايا القصر موجودة، والتل له دور قلعة وقصر. أي أن له وظيفة مزدوجة إذ إن الجزء الأسفل يظهر الجانب المدني حيث برك المياه والحمامات وبقايا القصور والملاعب التي كانت تستخدم للراحة والاستجمام.

ويعدُّ موقع هيروديوم مميزاً من حيث السيطرة على الطريق الروماني القديم، والممتد بين جنوب فلسطين وشماله، وصولا إلى مدينة القدس. وهذا الطريق ميز من خلال (أحجار المسافات) التي اشتهر الرومان بوضعها لتحديد المسافات، والتي يمكن مشاهدة بعضها في منطقة بني نعيم. والذي يمعن النظر في الخارطة المرفقة يلاحظ عددا من التفرعات، التي تصل المواقع كافة التي تنسب إلى هيرود في فلسطين شكل (٢) .



شكل (٢)

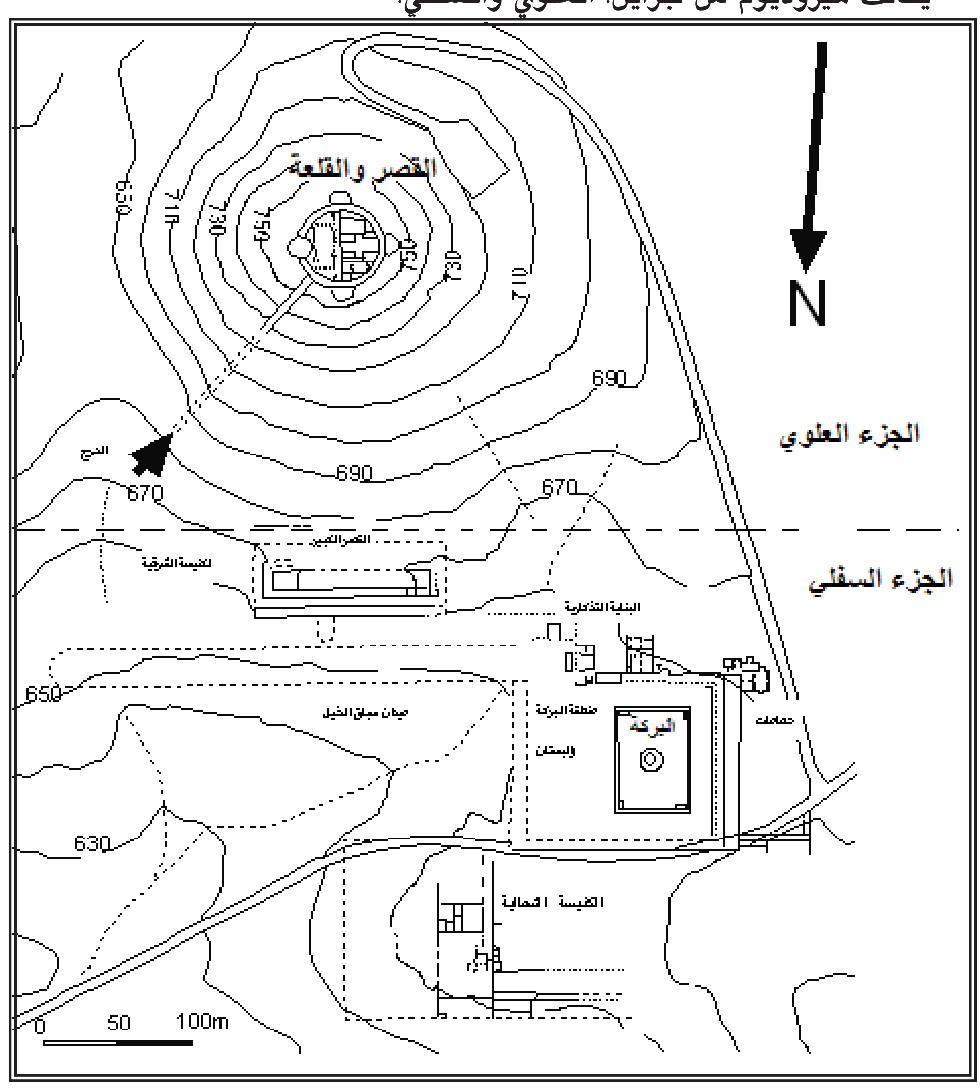
خارطة توضح الطرق الرومانية في منطقة الهيروديوم

نقلا عن: Survey of western Palestine.

وأخيرا فانه ومن خلال الوثائق التي وجدت في وادي المربعات من فترة ثورة باركوخبا سيمون أمير إسرائيل الذي كان قائداً في منطقة هيروديوم، وجد للمجمع مجموعة من الوظائف منها الحماية، ومكان لحفظ الكنوز ومخازن لحفظ الحبوب وقت الحرب [٤٠].

مخطط الهيروديوم:

يتألف هيروديوم من جزأين: العلوي والسفلي:



شكل (٣)

مخطط عام للمنطقة العليا والسفلى [٤١]



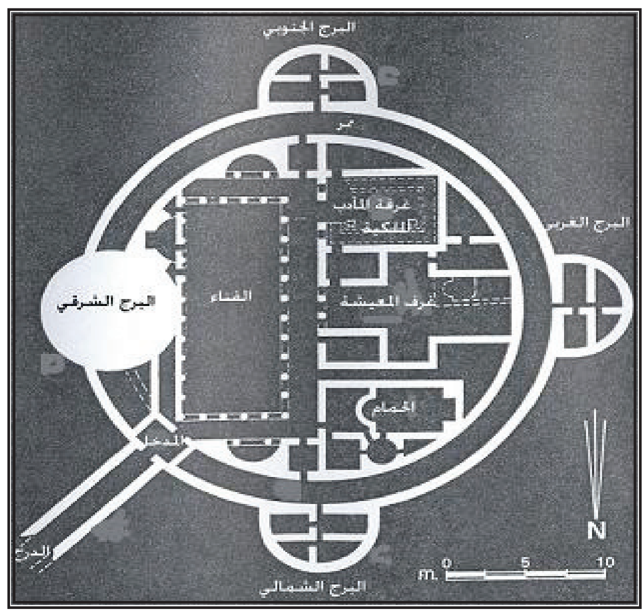
شكل (٤)

منظر عام للهيروديوم من أعلى.

البناء في الجزء العلوي:

إن النظرة الأولى من بعيد لا تظهر سوى تله عالية على شكل فوهة بركان خامد، لا يحيط بها سوى بيوتات متناثرة، وبعض الأطلال والخرائب، وهي ترتفع بمقدار ٦٠ متراً عن الوسط المأهول حولها من طرقات معبده وحركة سير... الخ، إلا أنه عبر الصعود إليها والوقوف على حافة الفوهة، والنظر إلى داخلها تظهر أطلال بناء ضخم على شكل قصر وقلعة ملكية، تتكون من جدارين متوازيين، قطر الخارجي منها ٦٢ متراً، يظهر مباشرة على الردم الصناعي الذي أضيف عند البناء ليخفي كتل البناء أعلاه، حيث يبدأ الجدار المذكور بالاستدارة عكس عقارب الساعة من جهة الشرق بالتحامه مع البرج الرئيس الضخم الواقع في الجانب الشرقي، والذي يبلغ قطره الخارجي ١٨م وارتفاعه ١٦م، وهو يشرف على مساحة هائلة أمامه باتجاه شروق الشمس، ويكشف التحركات في الجانب الشرقي إلى ما وراء البحر الميت، وقد تم بناؤه بصورة دائرية، وبحجارة مشغولة بشكل جيد وهو يلتحم مع الجدار المستدير ليشكل وحدة منسجمة، هذا وما زالت حجارته في الجزء السفلي على حالها، وتظهر مدى الإتقان في الشغل والاستدارة، أما الجزء العلوي فقد انهار وتآكلت حجارته، وتخلخل تماسكها، وفي الازمنة البعيدة انهار الجزء الظاهر والمكمل للبناء مع أعمدته وشرفاته وسقفه.

يستمر الجدار في الاستدارة إلى أن يلتقي ببرج آخر (البرج الشمالي) وهو أقل شأنا وارتفاعا من البرج الشرقي، ولكنه يشرف على المنطقة الشمالية تماما، أي منطقة بيت لحم والقدس وجوارها، ثم تستمر الاستدارة إلى برج آخر في الغرب يقابل البرج الشرقي وهو كسابقه يشرف على المنطقة الغربية تماما بارتفاعاتها وجبالها ووديانها، ثم يستمر الجدار إلى أن يصل إلى البرج الجنوبي الذي يشرف على الصحراء الممتدة حتى الأفق. وهو يقابل البرج الشمالي، وهناك يكمل استدارته ليلتحم مجددا بالبرج الشرقي على شكل حلقة محكمة الإغلاق. شكل ٥.



شكل (٥)

مخطط عام لقصر وقلعة هيروديوم [٤٢] .

يبلغ عرض الجدار الخارجي في المتوسط ٢م، وكان الجزء الظاهر والمرتفع منه قد انهار في الأزمنة الغابرة، فلم يبق منه إلا الأساس المذكور والجزء المطمور من الخارج، هذا الجدار الاستنادي هو الذي منح التل الشكل المخروطي المميز، وحولها إلى هضبة عملاقة.

يوازي الجدار الخارجي جدار آخر داخلي، ويسير بالاستدارة نفسها، إلا أنه يترك مداخل وممرات إلى الداخل والخارج، وقد فصل عن الخارجي بممر دائري عرضه ٥,٣ م، هذا وقد بنيت الأبراج والجدار الخارجي على سلسلة من القناطر توصل بينها وتدعمها بأسلوب هندسي يوازي الوسط الطبيعي للمرتفع ويعطيه شكل التل المخروطي، وقد كشف عن جدار آخر من الجهة الشرقية جنوب السور الاستنادي حيث بني لدعم السور المذكور [٤٣] .

يعد الجدار الداخلي جزءاً من كتلة البناء في الوسط، وهو أقل ارتفاعا من الجدار الخارجي، وعند العودة إلى الوراء، نشاهد الناس يعبرون الممرات والقناطر بين الجدارين إلى الأبراج، وهي شرفات تطل على الخارج لمشاهدة مضمار سباق الخيل أسفل التل، أو الاحتفالات والمآدب الملكية، أو زيارات القادة والأشراف.

الأبراج:

يعدُّ البرج الشرقي، هو البرج الأساسي. والمكتمل الاستدارة، والجزء الرئيس ما زال قائما، ويظهر على ارتفاع ١٦م داخل أرضية الفوهة، حيث إن القسم الأكبر من دائرته تقع داخل المجمع (في حدود ٣/٤ البرج) ، والربع الأخير يبرز إلى الخارج، وكان يصعد إليه بدرج انهار قديماً. أما الآن فيتم الوصول إليه من أعلى، عبر جسر حديدي حديث وضع ليوصل جزئي السور الخارجي عند نهاية الدرج التاريخي الذي ذكره يوسفوس بأنه يتكون من مائتي درجة مصنوعة من الرخام الأبيض تؤدي إلى قصر هيرود [٤٤] والذي يعدُّ المدخل الرئيس للقصر، وللبرج من الداخل غرف مقببة انهار أغلبها، ثم انهار الجزء العلوي المسقوف منه بأعمدته وشرفاته حتى وازى قمة الجبل من الخارج.

أما الأبراج الثلاثة الأخرى، فهي نصف دائرية كانت في السابق مسقوفة، وتستخدم للمراقبة والاستراحة، وهي تشرف على الجهات الثلاث، ومن الأساسات المتبقية داخلها نلاحظ أساسات حجرية تقطع نصف الدائرة على شكل صليب، كانت على الأغلب جدراناً لحجرات مسقوفة داخل الأبراج.

الأبنية في وسط التل:

تقسم المنطقة في الوسط إلى منطقتين رئيسيتين:

- **أولا**: النصف الشرقي يقوم تحت البرج الشرقي المستدير مباشرة، ويتألف من ساحة (فناء) بطول٣٣م وعرض ١٢,٥م، وهي على شكل مستطيل منتظم يحيط بها ٢٠عموداً، ٥ في الجهة الشمالية ويقابلها ٦ في الجهة الجنوبية و ٧ في الجهة الشرقية، وهي ملاصقة للبرج يقابلها ٢ في الجهة الغربية، وقد جرى على بقايا الأعمدة عملية ترميم وبناء جديد في الثمانينيات من القرن الماضي إذ كانت قد تداعت منذ زمن بعيد، وهي غير مكتملة إذ يتكون معظمها من ثلاث إلى أربع أسطوانات حجرية، أما الأعمدة التي تكمل النظام، فقد انهارت واختفت مع الزمن، واستخدمت في أبنية أخرى. وعلى الأغلب أن الساحة وأعمدتها، هي ساحة التشريف الملكية، وقد كانت مسقوفة على النمط الروماني بسقف جملوني انهار في عهود سابقة. (شكل ٦)



شكل (٦)

الفناء والبرج الشرقي.

خلف الساحة وفي الجهة الشرقية الملاصقة للبرج تقوم غرفة صغيرة كانت معقودة بعقد جمالوني انهار في السابق، وعلى جانبيها فراغان على شكل مثلث كانا من ضرورة البناء، أما الجهة الجنوبية الملاصقة للبرج فقد تراكم فيها بقايا الأبنية والجدران التي كانت تشكل جزءاً من المجمع.

ويحيط بالساحة من الشمال والجنوب والغرب، ممر يقود الشمالي إلى الممر الداخلي المستدير في التل، كما يعمل الجنوبي العمل نفسه، والغربي يواجه غرف القصر. ويوجد تجويفان عظيمان نصف أسطوانيين ملاصقين للجدار الدائري في الجهتين الشمالية والجنوبية يشرفان على الساحة مباشرة، وأمام كل منهما بقايا عمودين أسهما في السابق في حمل نصف القبة التي سقفتهما، وإلى جانبهما تقع غرفتان أمام البرج الشمالي والبرج الجنوبي استخدمتا مدخلاً إلى الممر الرئيس الدائري والبرجين المذكورين، كما يوجد المدخل الرئيس في الزاوية الشمالية الشرقية الذي يتم الوصول إليه عبر الدرج الصاعد باتجاه القصر.

- **ثانيا**: النصف الغربي، يفصل الجزء الشرقي عن الغربي ممر مستقيم باتجاه شمال جنوب، والجزء الغربي ينقسم قسمين يفصل بينهما غرفة معيشة على شكل مصلب، على مدخلها بقايا عمودين، وعلى طرفيها عند المدخل بقايا غرفتين صغيرتي الحجم، و في زاويتها الغربية أقيم مصلى بيزنطي في الفترة المسيحية ثم اختفت معالمه مع الزمن. أما الجهة الجنوبية للقسم الغربي فتقوم فيها غرفة واسعة ١٠، ١٥x٦، ١٥م وقد استخدمت

كغرفة مآدب ملكية، حيث يقابل الزوايا الأربع أربعة أعمدة متقابلة ساهمت في حمل السقف الذي انهار في الأزمنة الغابرة وبقي فيها جزء من عمود واحد في مكانه. كما كان يوجد في وسط الواجهة، وعلى جانبي المدخل نافذتان تطلان على الساحة الخارجية، ويوجد أسفل الجزء الغربي بئرين مقصورين مع قباب نصف برميلية.

وإلى الشمال من الجزء الغربي توجد غرف الحمام، وهي مبنية بطريقة جيدة على شكل مستطيل يحوي أقساماً عدة ويتم الدخول إليه عبر مدخل من الجهة الشرقية، حيث يتكون القسم الأول من غرفتين متجاورتين الأولى هي غرفة الملابس، والثانية هي الغرفة الباردة، ويتم الدخول عبرها إلى حمام البخار الدائري المقبب بقطر ٤، ٥م ثم إلى الغرفة الدافئة، التي تعد أوسع الغرف، حيث يقع في جدارها الشرقي تجويف نصف أسطواني، وضع فيه حوض الاستحمام الرئيس سابقاً، وعلى جوانبها تجاويف في الجدارين للاستراحة والاستحمام والجدران مغطاة بالجص بأسلوب هندسي، وملونة باللون الأحمر والأزرق والأصفر والأسود، كما رسمت طيور مائية على الجدران، وتحت أرضية الغرفة الحارة وضعت التدفئة المركزية التي يمر الهواء الساخن إليها. وإلى الشرق منها توجد غرفة صغيرة ذات أرضية فسيفسائية باللون الأبيض والأسود [٤٥]. شكل٧.



شكل (٧)

منطقة الحمام.

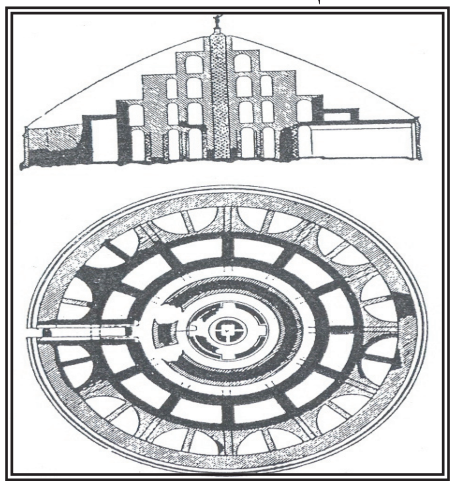
ويعتقد أن القصر كان يتكون من ثلاثة طوابق على الأقل، والدليل على ذلك وجود بقايا ثقوب كبيرة لتثبيت السقوف الخشبية فوق منطقة الحمام [٤٦].

طريقة البناء:

بني قصر هيرود من الحجارة المنحوتة متوسطة الحجم، بعد أن سُوِّيت هوامشها وأطرافها على كل الجدران، باستثناء الوجه الخارجي للحائط فقد كسي بالملاط والجزء الأسفل صبغ بالألوان المختلفة وفي تصاميم هندسية مختلفة، كان الجزء الأعلى للجدران مجصصاً باللون الأبيض بشكل عام طبقاً لتقليد التفاصيل المعمارية، وكانت قواعد الأعمدة وتيجانها كورانثية حيث كسيت بقصارة ملونة، كما عدد من التيجان الأيونية، ووجدت أيضا بعض الأجزاء المعمارية، وبها علامات حجارين يونان وأرقام. ووجد أيضا عدد من الأرضيات الفسيفسائية مخربة جزئيا كشفت الأنماط الهندسية، والألوان الأسود والأبيض الجيدة التي احتفظت بها بعض الأرضيات [٤٧].

فلسفة التصميم النادر للبناء:

إن فلسفة نظام هندسي غريب كهذا، لم تولد إلا وفق رؤية عسكرية ثاقبة في منطقة تعج بالصراعات، إلا أن هناك بناء آخر في روما هو ضريح أغسطس يبدو أنه النموذج الأول لقصر هيرود وفقا للمؤرخ Suetoniuns، تمت إقامته عام ٢٨ق م، وعلى الأغلب فإن هيرود نفسه شاهد الضريح خلال زياراته المتعددة إلى روما، فالبناءين بينهما درجة من التشابه فكلاهما دائري الشكل، إلا أن ضريح أغسطس بني على قاعدة قطرها ٨٧م، وترتفع بنظام من الأقواس والقناطر الضخمة على شكل دوائر متحدة المركز ومن ثم غطيت بالتراب، أما هيرود فإنه قام بتعديل قمة التل وحولها إلى مسطح ثم أقام الأجزاء الأولى التي ردمت بالتراب حتى مسافة معينة ثم برز باقي المبنى بقطر قدره ٦٠م وبقاعدة جبليه هائلة، شكل ٨ [٤٨].



شكل (٨)

ضريح أغسطس في روما (I E J) .

الأبنية عند قاعدة التل والسفح (الجزء السفلي) :

حول قاعدة جبل هيرود بنيت شقق ملكية لاستيعاب أصدقائه وحاشيته وممتلكاته(٤٩)، وعلى الرغم من أن هيروديوم شيد لسكن الملك، فإنه– بالعدد الكبير من الأبنية والتنوع في الوظائف وشموليته– شكَّل مظهر مدينة أكثر مما هو مظهر قلعة (٥٠) ، وقد قامت في هذه المنطقة حفريات على حساب معهد الآثار في الجامعة العبرية وأشرف عليها E. Netzer وساعده E. Damaiti ومن خلال الحفريات، كُشف عن عدد من الأبنية غير المعروفة سابقا حيث بنيت لتوازي بعضها بعضاً، وهذا دليل على خطة هندسية شاملة في الموقع والقلعة تنسب إلى فترة واحدة من البناء هي زمن هيرود، شكل ٣.

على نهاية سفح الجبل أقيم قصر ضخم (large palace) طوله ١٣٠م وعرضه ٥٥م(٥١) . لم يبق إلا أساساته أو ما يدلل عليها، وقد برزت من وسطه بناية نصف دائرية، وهي على الأغلب شرفة يجلس عليها المشاهدون لمشاهدة مضمار ركوب الخيل الذي يقع أمامه مباشرة. وهو قطعة أرض مستوية طولها ٥٠٠ متر وعرضها ٢٥م سويت بشكل جيد، حيث رصت تربتها، وصممت لتناسب سباق الخيول والعربات. يتصل مضمار السباق عند طرفه الغربي بعدد من الأبنية أولها ما يعرف بالبناية التذكارية، وهي عدد من الغرف يبدأ بغرفتين مستطيلتين يتصلان فيما بينهما بممر وتتصل الغرفة الأولى منهما بقاعة ضخمة ذات تصميم هندسي رائع مبنية بحجارة مشغولة بصورة جيدة حيث الأعمدة الملتصقة بالجدار، والفجوات الهندسية في الجدران تتقدمها الأعمدة التي كانت تحمل سقفاً انهار في أزمنة سابقة، وعلى الأرجح فإن الفجوات احتوت على نصب وتماثيل تذكارية لأباطرة وقادة وآلهة تلك الحقبة. ومن طرفها الشمالي يقود ممر إلى غرفة أخرى مربعة، وتتصل بغرفة أصغر تنتهي بدرج يقود إلى الخارج.

إلى الغرب منها بقايا مبنى غبر واضح المعالم، ثم بناء آخر على مسافة قصيرة منه إذ يقع الحمام المركزي لمجمع الأبنية السفلى وبركة خاصة به، وهو عبارة عن سبع غرف متلاصقة، يتم الوصول إليها عبر ساحة خارجية من الشمال، وعبر ممر كانت تحف به أربعة أعمدة، إلى عدد من الدرجات تقود إلى غرفة مربعة، ثم عبر ممر في وسط جدارها الجنوبي يؤدي إلى مجمع الغرف الدافئة وهي ثلاث: الأولى مربعة، تلاصق غرفة الملابس، والثانية شرقها وهي مربعة الشكل إلا أنها أصغر من الأولى، والثالثة مستطيلة الشكل. تقود الغرفة الدافئة الأولى عبر ممر في طرفها الغربي إلى غرفة الحمام الساخن وهي ضخمة ومستطيلة. وفي وسط جدارها الجنوبي فجوة على شكل حذوة الفرس لحوض الاستحمام، وعلى واجهات أطرافها المتبقية فجوات مربعة لأحواض الاستحمام الأخرى. وتقود الغرفة

الدافئة الثالثة إلى الغرفة الباردة وهي صغيرة مستطيلة الشكل ثم تقود الغرفة الثانية الدافئة إلى حمام البخار المقبب، حيث ما زالت الفسيفساء الرائعة واضحة على أرضيته وهي مربعة في وسطها دائرة زخرفت بزخارف نباتية وهندسية، المبني الحالي أعيد بناؤه ورفعت جدرانه وقُبّبت أجزاء من الحمام من قبل دائرة آثار الاحتلال الإسرائيلية.

إن الأبنية المذكورة تقع جميعها على الطرف الجنوبي لبستان كبير، شكل ٩.



شكل (٩)

حمام المجمع السفلي للهيروديوم.

المياه في الهيروديوم:

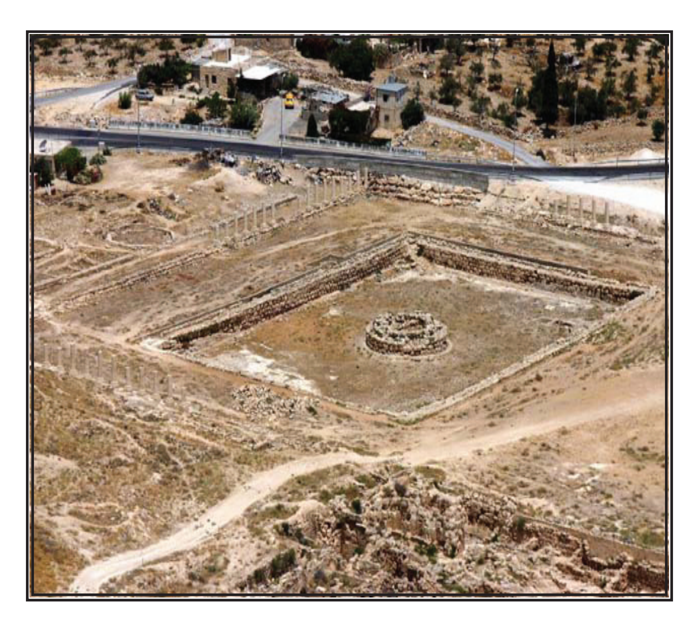
المياه في الجزء العلوي:

بالإضافة إلى الآبار السابقة الذكر في الجزء الغربي تحت الغرف، فإنه يوجد داخل القصر شبكة ضخمة من الآبار كان قد كشف عنها في الحفريات داخل التل، إذ يوجد أربعة آبار حفرت على عمق ١٥ م تقريباً تحت أرضية القصر الشمالي الشرقي، إذ تتصل بالقصر بوساطة درج منحوت في الصخر، لهذا كان لا حاجه لترك منطقة القصر من أجل إحضار المياه. حيث إن هذه الآبار، لا تستطيع استقبال الماء مباشره من القنوات أو البركة التي تقع أسفل القصر. ويفترض أنها كانت تملأ بالماء القادم إليها من ساحات المجمع وأسطحه، وكذلك هناك من يعتقد بأنها كانت تحمل إليها بوساطة الحيوانات على ظهورها من البركة السفلى [٥٢].

المياه في الجزء السفلي:

البركة:

البركة تقع في مركز التجمع السفلي للهيروديوم، وهي مستطيل أبعاده ٧٠×٤٦م تقع في حديقة أبعادها١٢٥×١٠٥ م، وعمق البركة ٣م حيث كانت تستوعب ١٠،٠٠٠متر مكعب من الماء، وفي مركز البركة يوجد بناء مستقل دائري الشكل وقد يكون مسقوفاً، ويبدو أنه بالإضافة إلى كونها خزان للمياه، استخدمت أيضا لممارسة السباحة وركوب القوارب، والبناء المركزي يشكل عنصراً بارزاً في المشهد من شبه الصحراء المحيطة شكل ١٠ (٥٣).



شكل (١٠)

البركة.

وكشف في البركة عن درجات واسعة في الزاوية الشرقية الجنوبية تنزل إلى أرضيتها. أما بالنسبة إلى البناء المستدير الذي يوجد في الوسط فقطرة ١٣م، وربما كان محاطا بأعمدة لتبدو كجزيرة في وسط المياه ويبدو أنه كان مسقوفاً ومدعوماً بالأعمدة، ومن المحتمل أن يكون مقصورة تستخدم للاستراحة والاسترخاء والضيافة (٥٤) . وقد اعتقد Edesauleuy خطأ في عام ١٨٦٣م عندما ذكر تفاصيل موقع الهيروديوم، ورسم مخططات للبنايات التي تقع أسفل التل وخاصة البركة وفي رأيه كان الشكل الدائري في البركة هو مكان دفن هيرود (٥٥) .

في الثمانينيات من العقد الماضي قامت دائرة الآثار الإسرائيلية بإقامة عدد كبير من الأعمدة الدائرية، ذات الطابع الروماني حول البركة، وهي أعمدة اسطوانية حديثة الصنع من الإسمنت ذات قواعد على النمط القديم، وهي ليست مكتملة، وتتكون من ٦ حلقات مفرغة من الداخل، سقط بعض أجزائها مع الزمن، وهي تبدو للعيان كجزء من المشهد القديم، وتقوم مباشرة بجانب الشارع العام.

مصادر المياه التي غذت تجمعات الهيروديوم السفلى (البرك):

ذكر فليب بلدنسبرجر أن هيرود بعد انتصاره على اليهود في منطقة جبل فرنك بنى قصرا بالقرب من المكان، ولأن المطر شحيح في هذه المنطقة من صحراء القدس، فقد حصل على المياه من النبع المهم في منطقة العروب التي أحضرها عن طريق قناة، ونظام مكثف من خزانات المياه إلى برك سليمان، وكانت هذه القناة كبيرة جدا بحيث يستطيع حصان المرور عبرها بسهولة، وكانت واسعة بشكل يكفي لمساعدة العمال على الوقوف فيها مستقيمي القامة عند القيام بالتصليحات، وكانت تمر عن طريق وادي البيار وتطوف بجبل عكرا وعريد خالد شمال ارطاس، حيث كان يتجمع الفائض من المياه في عدد كبير من الخزانات التي امتدت حتى نبع أو جدول عين أرطاس، وان البقايا الإسمنتية القوية لجزء من هذه الأعمال العظيمة ما زالت تشاهد حتى اليوم وهي ملك لأسر في أرطاس. وبعد وادي أرطاس يأتي وادي الطواحين، وهنالك أيضا يتشكل جزء من نظام الري العظيم الذي أقامه هيرود، والذي كان فائض المياه فيه يستخدم لإدارة الطواحين العديدة في المنطقة [٥٦] .

ويمكن الافتراض أن قناة وادي البيار قد بنيت في زمن يقع ما بين عهد هيرود العظيم، والفترة الرومانية المتأخرة. والمفترض أن هذه القناة قد بناها هيرود كجزء من تطوير نظام القنوات، وربما أيضا كجزء من نظامه المائي لقصره وقلعته في جبل هيرود الذي كان نظامه المائي يتصل أيضا ببرك سليمان، وعلى الرغم من أن هذا مجرد افتراض، فان هناك ما يدعمه في أساليب البناء التي يمكن مشاهدتها عند عين الدرج في الغرفة ذات القبة في وادي البيار المشابهة لأساليب البناء المستخدمة في جبل هيرود [٥٧] .

يبدو أن الملك هيرود أول من نقل المياه عبر مسافات طويلة مستخدماً الأسلوب الذي طوره الرومان، وخلال حكمه توسعت القدس بشكل ملحوظ، وكان عدد سكانها المتزايد يتطلب كميات أكبر من المياه، وكان أول مشروع قام به هيرود لنقل المياه من ينابيع أرطاس الواقعة إلى الشرق من برك سليمان إلى جبل هيرود ومصادر المياه هناك تقع على ارتفاع ٦٩٠م فوق سطح البحر وبوفرة ٤٣ مترا مكعبا في الساعة والبركة الواقعة عند سفح جبل هيرود تقع على ارتفاع ٦٦٠م فوق سطح البحر وطول القناة ثمانية كيلومترات

ودرجة ميلان القناة المذكورة في كتاب الآثار لمؤلفه يوسفوس في الفصل ٩– ١٥ كانت ٣٧٥، ٠ ٪ كما باشر هيرود الملك بأنظمة مياه في أريحا وقيصرية ومسعدة وهركانيا وأماكن أخرى (٥٨) .

وفي دراسة قام بها D. Mite وجد أن هناك ارتباطاً بين البركة السفلى من برك سليمان وأجزاء معروفة من القناة المؤدية من أرطاس إلى جبل هيرود. فيما بين البركة السفلى وعين أرطاس وعلى امتداد يقارب ١، ٥ كم اكتشف في خمسة عشر موقعاً مختلفاً وجود أجزاء قصيرة مدمرة لهذه القناة، وقد وجد في هذه الأجزاء آثار بناء وشق في الصخر أحياناً منفصلة وأحياناً متصلة. وفي معظم الحالات كانت بقايا الجص ما زالت مرئية على جدران القناة. وعرض القناة ما بين ٠،٢٠– ٠،٥٠ متر ويجب أن نذكر أن هذه القناة تظهر في خارطة برك سليمان وما يحيطها (٥٩) . وقد اقترح Mazar أيضا أن هذه القناة كانت مرتبطة بالنظام المائي المعقد لمدينة القدس الذي نقل كمية كبيرة عبر مسافات طويلة (٦٠) . وما زالت آثار قناة هيرود المنحوتة في الصخر تظهر في مناطق متقطعة بين عين أرطاس وجبل الفرديس، إذ اندثرت واختفت معظم آثارها، وكان ذلك بسبب التطور المعماري في القرية، وتظهر بقاياها شرقي العين مباشرة، وهي منحوتة في الصخر، وكذلك تظهر بشكل أكثر وضوحاً بالقرب من مدرسة ذكور أرطاس على جانب الشارع، وهي في هذه المنطقة أيضاً منحوتة في الصخر، وفي مناطق أخرى تظهر شرقي أرطاس من الحجارة والطين شكل ١١.



شكل (١١)

جزء من إحدى قنوات المياه التي تصل إلى هيروديوم.

هيروديوم حتى الفترة البيزنطية:

في الفترات اللاحقة لهيرود، وجد العديد من الآثار التي تدل على أقوام سكنوا القصر والمنطقة السفلى، كما وجدت دلائل أبنية في القصر، وفي الفناء وعلى الجانب الشرقي وفي بيت الحمام، إلا أن نشاطات البناء للسكان الجدد لم تكن مكثفة، فقد كانت محدودة بإضافة جدران من بناء، وإعادة استخدام الحجارة من القصر المدمر، كما وجد العديد من الأفران ذات الاستخدام المنزلي. كما حفر في بطن الجبل، ولأغراض دفاعية شبكة من الممرات السرية في الجزء الشمالي الشرقي منه، وهي تحتوي على آثار سكنية مثل الجدران والفخار، وآثار نار. والفترة التي نتحدث عنها طويلة وحملت في ثناياها آلاف الأحداث التاريخية المحلية والعالمية التي شهدت اضطرابات وقلاقل وحالات تمرد وعصيان وحروب، لجأ كثيرون إلى مثل هذه الأماكن للاختباء. إذ إنه– في الحقيقة– لا وجود لأثر واضح المعالم يدل على أناس بعينهم كبناء معبد أو كنيس، إنما حاجات الناس المعيشية الأساسية كآثار موقد أو كسر فخار ولا بد من ذكر توسط المنطقة بين البتراء وصحراء القدس إلى ساحل البحر الأبيض الذي يعدُّ الممر القديم إلى الشرق، فقد عبرتها العشرات من القبائل التي استخدمت الكهوف والمغائر لإيواء قطعان الماشية أو السكن حيث استخدم كثير منها كمنازل تقي البرد في الشتاء.

الفترة البيزنطية:

الاستقرار السكني في الفترة البيزنطية في جبل هيرود غير مذكور في المصادر القديمة، ولكنه ترك أثره على أجزاء عدة من القصر المدمر. الرهبان عاشوا بشكل رئيس في أجزاء من بيت الحمام التي ما زالت مسقوفة وبنوا أفرانا وصوامع، كما أنشأوا كنيسة صغيرة في واحدة من غرف القصر جنوب بيت الحمام ومن الواضح أنهم هجروا القصر في القرن السابع ميلادي [٦١].

وعندما حفر Corbo ضمن البعثة الايطالية في الفترة الواقعة ما بين ١٩٦٢– ١٩٦٧م عُثر على كنيسة صغيرة يوجد مثلها في الأديرة المختلفة، بنيت كجزء من قلعة قصر هيرود. ولقد أقيمت على أنقاض الموجودات من الفترات السابقة، وتوجد في الجهة الغربية بين الحمام وصالة الطعام. وقد استخدم الرهبان الحجارة التي كانت موجودة في الموقع وأضيف جداران إلى الجدار الغربي والجدار الجنوبي التي كانت جزءاً من الأبنية الموجودة في القصر والجدار الشمالي والشرقي بني دون أساسات، وترتفع أرضية المصلى ١,٦٠م فوق أرضية قصر هيرود والجدران الباقية ارتفاعها حوالي ٢,٩٠م. باب الكنسية مرتفع قليلاً عن أرضيتها ويؤدي إلى المحراب الذي يوجد في جوانبه فتحات (كوات) لهدف ديني،

وفي الجدار الجنوبي فتحة أخرى بجانب المحراب حيث عثر فيها على بقايا من الزجاج، أرضية المحراب من الفسيفساء وقياسات الكنيسة هي ٣,٣٧م ×٧,٤٣م، ومع المحراب يصل طولها إلى ٩,٥٣م. وجد الدير في القرن الخامس والسادس وحتى نهاية السابع، في أبنية الأديرة توجد كتابات، وغالباً، فان هذا المجتمع الرهباني قد جاء من مصر (٦٢). وفي المنطقة السفلى من الهيروديوم عُثر على كنيستين من الفترة البيزنطية الأولى تقع إلى الشمال من الطريق الرئيس زعترة تقوع، نُقِّب عنها بوساطة يهود نيتزر من معهد الآثار في الجامعة العبرية بالتعاون مع مكتب الآثار الإسرائيلية في الضفة الغربية عام ١٩٧٣ (٦٣) . بنيت فوق أنقاض فترة هيرود. الكنيسة تحتفظ بأرضية فسيفسائية جيدة كاملة مزخرفة بنقوش جيدة. موجودة في رواق الكنيسة، وقي الغرفة الشمالية من القاعة الرئيسة، وفي القاعة الرئيسة التي يبلغ أبعادها ٨,٨م × ٦,١٠م. الكنيسة تنسب إلى القديس Micheal ومحراب الكنيسة غير عادي كان مستطيل الشكل، وليس نصف دائري كما هو في الكنائس الأخرى. وتوجد مقاعد على طول المدخل بجانب الجدران شكل ١٢ (٦٤) .



شكل (١٢)

الكنيسة الشمالية.

الكنيسة الشرقية: اُكتشفت في الفترة الواقعة بين ١٩٧٩– ١٩٨٠. بنيت فوق أنقاض قصر كبير في الجانب الشرقي. غطيت أرضية رواق الكنيسة بالفسيفساء المزخرفة بأشكال حيوانية. رواق الكنيسة لم تحفظ فيه الأرضية الفسيفسائية جيداً باستثناء ميدالية تحتوي على شكل لبوءة، وتم التعرف على بعض أشكال الطيور في ميداليتين أخريين. وأضيفت غرفتان إلى الكنيسة من الجهة الجنوبية، الأولى تحتوي على حوض التعميد الذي يقع بجانب فتحة في الحائط، بالإضافة إلى قبر نهبت محتوياته، أما الغرفة الأخرى فوجد فيها نقش كتابي حفظ جزء منه.

الكنيسة الرئيسة الثالثة: كُشف عنها في الفترة الواقعة ما بين ١٩٨٠– ١٩٨٣م، تقع جنوب البناء التذكاري وملاصقة له. وفي زاويتها الجنوبية الغربية وضعت مقاعد حجرية، وهي على غرار الكنيستين سابقتي الذكر، والمدخل الرئيس في هذه الكنيسة لا يوجد في الرواق أو الممر الغربي، وإنما يوجد في الحائط الجنوبي من الرواق. أرضية الكنيسة المزينة حفظت أجزاء منها، وفي الغرفة الجنوبية يوجد محراب الكنيسة وحوض الماء المقدس للتعميد المصنوع من حجر قوى محيطة ١,١٠ م. كحال الكنيستين السابقتين تحتوي على بقايا من حقب زمنية أخرى عرفت من خلال الفسيفساء البيضاء التي بنيت فوق الممرات، لقد بنيت جدران الكنيسة الرئيسة والغرف الثانوية بحجارة جيدة البناء، وبعضها مأخوذ من البناء التذكاري، وهذا النوع من الحجارة لا يوجد سوى في منطقة الجبل العلوي وقد أعيد بناؤه في الكنيسة.

إن هوية سكان هذه المنطقة في الفترة البيزنطية غير معروف بعد وليس واضحاً أن من عاش في منطقة هيروديوم السفلى تجمع من السكان العاديين أو الرهبان [٦٥] .

وأعيد في هذه الفترة أيضاً استعمال البركة كي تخدم الأغراض الصناعية مثل إنشاء معاصر للعنب إذ تم كُشف عن واحدة في عام ١٩٨٤– ١٩٨٥م، خلال عملية التنقيب التي أشرف عليها E. Netzer في الجزء الشمالي الشرقي من البركة الرومانية التي تقع في الجزء السفلي وقد ذكر E. Netzer أن هذه المعصرة ترجع إلى العصر البيزنطي. [٦٦] وهذا يدلل على أن المنطقة كانت تزرع فيها الكرمة وبشكل كبير، وما يفسر هذا وجود معاصر أخرى في الموقع نفسه تعمل بالطريقة نفسها، وقد استخدمت في بناء هذه المعصرة الحجارة المنتظمة [٦٧] .

ضريح هيرود:

قدم يهود نيتزر نتائج حفريته التي شرع بها في أغسطس آب ٢٠٠٦، وكانت من معهد الآثار التابع للجامعة العبرية، إذ ذكر أن البحث الطويل عن قبر هيرود انتهى بالكشف عن بقايا قبر على منحدر الجبل الشمالي الشرق، شكل ١٣.



شكل (١٣)

موقع الحفريات التي تم الكشف فيها عن بقايا قبر هيرود.

الضريح نفسه حطم في الأوقات القديمة وفي مكانه بقي جزء وحيد من منصة متينة البنية (شكل ١٤) ، ووجد في الموقع بقايا جرار فخارية مزينة كانت تستعمل لخزن بقايا العظام، وهي مماثلة لما كان يوجد على قمة أنصاب الدفن عند الأنباط. ومثال ذلك قبر الجرة، وعلى الخزنة في البتراء.

الضريح بني من الحجر الأبيض، وكان في حالة من الدمار المتعمد وكان جزءاً واحداً من المنصة عثر عليه بحالة جيدة، مئات من قطع حجرية من التابوت الأحمر ملئت وغطت منطقة الضريح بشكل كبير، وربما هيرود نفسه عانى المصير نفسه. وقد عُثر على شظايا اثنين من توابيت مصنوعة من الحجر الأبيض، استخرجا من أسفل الزاوية الشرقية للنصب، وعلى الأرجح إن هذه التوابيت كانت تعود إلى أفراد من أسرة هيرود أو ارخيلاوس وابنه[٦٨].



شكل (١٤)

بقايا المنصة التي يعتقد إنها كانت لقبر هيرود.

وعثر على بقايا من التابوت الذي كان طوله تقريباً ٢,٥٠م ومصنوع من حجر كلس محمر يوجد في مناطق القدس، وقد زين من قبل الفنانيين. التابوت كان له غطاء حجري مثلث الشكل وزينت جوانبه. هذا النوع من الزخارف المتقنة بدون أدنى شك كانت تزين قبر هيرود وقليل ما وجدت في قبور مماثلة معروفة في البلاد. ومن الممكن أن توجد في القبور المتقنة بالرغم من أن لا نقوش في هيروديوم لا على القبر ولا في بقايا البناية. هذا ومازالت الحفريات مستمرة حتى لحظة كتابتنا هذا البحث. شكل ١٥.



شكل (١٥)

بقايا تابوت يعتقد أنها لهيرود [٦٩] .

اعتقد يهود نيتزر أن القبر اقتحم ونبش بتعمد، ولحق به الدمار على ما يبدو في السنوات ٦٦—٧٢ م أثناء الثورة اليهودية الأولى ضد الرومان، حيث سيطر الثوار اليهود على الموقع طبقاً لما ذكره يوسفوس، وهؤلاء عرفوا بكراهيتهم لهيرود.

تضمن موقع القبر بنايتين تذكاريتين هما: حمام طقوس كبير بالإضافة إلى الطريق الكبير بطول ٣٥٠م، وعرض ٣٠م الذي حضر للجنازة [٧٠] .

المسرح:

كُشف عن المسرح لأول مرة في عام ٢٠٠٨، ويقع في منتصف الطريق المؤدي إلى أعلى التل بالقرب من ضريح هيرود، وقد بني المسرح حوالي ١٥ ق م، وهي السنة التي زار فيها القائد الروماني ماركوس أجريبا فلسطين وهو الرجل الثاني في عهد الإمبراطور أغسطس قيصر (اكتافيوس) ، كما عثر على زخارف جداريه غاية في الروعة، وتزين الجدران

لوحات جدارية كما في مباني جنوب ايطاليا، وعلى الأرجح إن هذا العمل تم من قبل فنانيين إيطاليين (٧١) . والرسوم الجدارية تصور مشاهد مزرعة، تمثل غزلاناً. إحدى الجداريات التي تصور فتح نوافذ مزرعة في جنوب ايطاليا وكلبا، وشجيرات. المسرح المكتشف تقدر سعته واستيعابه بنحو ٤٥٠ متفرج شكل ١٦ (٧٢) .



شكل (١٦)

مدرج هيروديوم

خاتمة:

للمرة الأولى في التاريخ العبري يتم اختراق الدائرة الكهنوتية السياسية. بسيطرة شخص غير يهودي على مركز القرار، مما أدى إلى كسر احتكار الكهنة اليهود للقيادة، كما يظهر المشهد السياسي حالة صراع دائمة على المنطقة، توجهها القوى العظمى قديماً، وتمتد حتى العصر الحالي في حراك دائم ومستمر للسيطرة على الممر التاريخي بين آسيا وأفريقيا.

ظهر هيرود كسياسي قوي، استطاع كسب ود الدول العظمى، كما ظهر كعسكري تمكن من تطويع القوى المحلية ليوحدها تحت سلطته.

أقيمت القلعة على تل مخروطي يقع على حافة الصحراء في منطقة قليلة الأمطار، حيث سحبت إليها المياه عبر قنوات بعيدة رغم الفارق في مناسيب الجريان والإسقاط وهذا يقودنا إلى أهميتها الإستراتيجية.

يعدُّ موقعها الأهم ضمن سلسلة من القلاع بالنسبة إلى القدس إذ تعدُّ الملجأ الأقرب في حال تعرض الملك للخطر في القدس، كما أن لها دوراً دفاعياً ضمن مجموعة القلاع والمباني العسكرية كقلعة مسعدة على الضفة الغربية للبحر الميت، وكذلك قصر هيرود الشتوي في أريحا.

يشرف الهيروديوم على أهم الطرق التجارية التي تعبر فلسطين من الجنوب باتجاه الشمال بالإضافة إلى الطرق الفرعية التي تتصل بالطريق الرئيس. كما تقوم في منتصف المسافة على خط يمتد من الجنوب إلى الشمال، ويرتكز على عدد من التحصينات في مواجهة مباشرة مع الحواضر النبطية في الشرق، وتمثل خط دفاع أمامها.

يظهر البناء على شكل فوهة بركان خامد، حيث الأبنية الأساسية تقع داخل الفوهة، وهذا أمر لا مثيل له في العمارة المحلية، حيث تفرد البناء في تصميمه الهندسي، رغم وجود شبه قريب في الشكل الدائري للمخطط في ضريح أغسطس إلا أن البنائين يظهر كل منهما بشكل مختلف تماماً.

احتوى البناء الأساسي على برج ضخم للمراقبة، بالإضافة إلى ثلاثة أبراج نصف دائرية تشكل في مجموعها تحصيناً عسكرياً يهيئ للمدافع أو الناظر مشهداً كلياً عن المحيط في الأسفل مما يسهل الدفاع أو المراقبة بصورة فريدة.

إن التصميم الهندسي للبناء حالة نادرة في تلك الحقبة، تطلبت مهارات وجهوداً جبارة، تمثلت في الاستدارة الكاملة على قمة التل، ثم نصف الاستدارة للأبراج الثلاثة حيث يتوازى الجداران الداخلي والخارجي بشكل دقيق، وتتطابق الأبراج الثلاثة في نصف الاستدارة وتقسيم المرافق، كما يتعامد البرج الجنوبي والشمالي ليشكلا محوراً يفصل الجهة الشرقية عن الغربية بصورة متكاملة، وهذا يتطلب قدراً كبيراً من فنون الهندسة.

وأخيرا فإن هندسة البناء توحي بحالة مميزة (خلق عمراني جديد) يختلف عن نمط البناء السابق في المدن والحواضر المحلية والعالمية

الهوامش:

١. جقمان، حنا، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، الجزء الأول بيت لحم منذ أقدم الأزمنة حتى ١٨٠٠م، بيت لحم ١٩٩٢، ص٦٦– ١.
٢. الروحنه، مسلم، عهد الحارث الرابع، عمان ٢٠٠٢، ص٣٣.
٣. الشوف، قاسم، فلسطين التاريخ القديم الحقيقي منذ قبل التاريخ حتى الخلافة العباسية، بيروت ٢٠٠٤، ص. ٢٧٨.
٤. جقمان، حنا، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، الجزء الأول بيت لحم منذ أقدم الأزمنة حتى ١٨٠٠، بيت لحم ١٩٩٢ ص٦٦– ١.
٥. ولكنسون، جون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة ٦٣ ق م– ٦٣٧ م، في كتاب القدس قي التاريخ، تحرير وترجمة د. كامل العسلي، عمان ١٩٢٢ ص٩٧.
٦. زيادة، نقولا، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد٢، بيروت ١٩٩٠، ص١٧٧.
٧. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الجزء الأول القسم الأول، ط٢، ١٩٧٣، ص٦٢٢.
٨. القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ترجمة القمص مرقس داود، ط٢ القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٠– ٣١.
٩. زيادة، نقولا، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد ٢، بيروت ١٩٩٠، ص١٧٩.
١٠. ساند، شلومو، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة سعيد عياش، رام الله ٢٠١٠، ص ٢١٣.
١١. زيادة، نقولا، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد ٢، بيروت ١٩٩٠، ص١٧٧.
١٢. زيادة، نقولا، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد ٢، بيروت ١٩٩٠، ص١٧٧.
١٣. قاسمية، خيرية، نقولا زيادة في ميزان التاريخ، مراجعة وتقديم محمد عدنان البخيت، عمان ٢٠٠٨، ص٢١١.
١٤. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الجزء الأول القسم الأول، ط٢ ١٩٧٣، ص٦٢٣.
١٥. ولكنسون، جون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة ٦٣ ق. م – ٦٣٧ م، «في كتاب القدس قي التاريخ، تحرير وترجمة د. كامل العسلي عمان ١٩٢٢ ص٩٨.
١٦. تومبسون، توماس ل، «القدس أورشليم العصور القديمة بين الثورة والتاريخ، ترجمة فراس السواح، بيروت ٢٠٠٣، ص ١٥٦– ١٥٧.

١٧. الشوف، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩) بيروت ١٩٨٨، ص١٣١.

١٨. قاسمية، خيرية، نقولا زيادة في ميزان التاريخ، مرجعة وتقديم محمد عدنان البخيت، عمان ٢٠٠٨، ص٢١١.

١٩. الشوف، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩) بيروت ١٩٨٨، ص١٣١.

٢٠. قاسمية، خيرية، نقولا زيادة في ميزان التاريخ، مرجعة وتقديم محمد عدنان البخيت، عمان ٢٠٠٨، ص٢١١.

٢١. الشوف، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩) بيروت ١٩٨٨، ص١٣٢.

٢٢. قاسميه، خيرية، نقولا زيادة في ميزان التاريخ، عمان ٢٠٠٨، مرجعة وتقديم محمد عدنان البخيت، ص٢١١.

٢٣. حزبون، لويس، علم الآثار والأرض المقدسة دراسة نظرية وتطبيقية، جامعة بيت لحم ١٩٩٥، ص١٤٦.

٢٤. Richardson, Peter, Herod King of the Jews and friend of the Romans, Carolina, 1996, pp179- 180.

٢٥. Richardson, Peter, Herod King of the Jews and friend of the Romans, Carolina, 1996, p 150.

٢٦. الشوف، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩) بيروت ١٩٨٨، ص١٣١.

٢٧. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Exca-vation in the holy land, Vol 2,Oxford 1976, p502.

٢٨. Josephus, complete work, Antiquities of the Jews, Michigan 1960, chap XIII N9, p307.

٢٩. Arthur, Sega, Herodion", Israel Exploration Journal 23 [1973], pp. 27- 29.

٣٠. Josephus,complete works- wars of the Jews, Michigan 1960,chap XXL, n10, p453.

٣١. الفرنسيسي، الأب يوجين هود، مختصر دليل الأراضي المقدسة، ترجمة الأب دوارد تامر والأب جورج البستاني، القدس ١٨٤٧ط١٩٨٤، ص١٢٢.

٣٢. Ehud, Netzer, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Ex-

cavations in the Holy Land Vol. 2,edited by Ephraim Stern,Jerusalem,1993 p618.

٣٣. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Exca-vation in the holy land,Vol 2, Oxford 1976, p502.

٣٤. Baedeker, Karl, Jerusalem and its surrounding London 1876 Jerusalem, carta- Re print 1973, p150.

٣٥. اولبريت، وليم ف ،آثار فلسطين، ترجمة د. زكي اسكندر وآخرون، عكا ١٩٨٨، ص١٥٢.

٣٦. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Exca-vation in the holy land, Vol 2, Oxford 1976, p502.

٣٧. Josephus, complete work, translated by William Whiston, AM. Michigan 1960, p469.

٣٨. Netzer, Ehud, Greater Herodium، Qedem vol 13, Jerusalem1981, p 103.

٣٩. Josephus, complete work, translated by William Whiston، AM. Michigan 1960، p443.

٤٠. Netzer, Ehud, Greater Herodium, Qedem Vol 13, Jerusalem1981, p103.

٤١. Netzer, Ehud, Herodium An Archaeological Guide, Jerusalem 1987, p 32.

٤٢. Netzer, Ehud, Herodium An Archaeological Guide, Jerusalem 1987, p 17.

٤٣. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Exca-vation in the holy land, Vol 2, Oxford 1976, p507.

٤٤. Josephus, complete work, translated by William Whiston، AM . Michigan 1960, p453.

٤٥. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Exca-vation in the holy land, Vol 2,Oxford 1976, p507.

٤٦. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeologi-cal Excavations in the Holy Land Vol. 2, edited by Ephraim Stern, Jerusalem,1993, Pp619- 620.

٤٧. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeologi-cal Excavations in the Holy Land Vol. 2, edited by Ephraim Stern, Jerusalem,1993, p620.

٤٨. Segal, Arthur, Herodion”, Israel Exploration Journal 23 [1973], pp. 27-29

٤٩. Josephus, complete work, translated by William Whiston, AM. Michigan

.1960، p453

٥٠. Pearlman, M, historical sites in Israel، pp263.

٥١. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol. 2, edited by Ephraim Stern, Jerusalem,1993, p623

٥٢. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol. 2, edited by Ephraim Stern,Jerusalem,1993, .p620

٥٣. Netzer, Ehud, Herodium An Archaeological Guide, Jerusalem 1987, p .32

٥٤. Netzer, Ehud, Herodium (Notes and News) ,Israel Exploration Journal. vol 22، 1972p248

٥٥. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Excavation in the holy land vol 2, edited by Ephraim Stern, Jerusalem, .1993, p618

٥٦. Baldensperger, Philp, The immovable East. Studios of the people and .customs of Palestine, London ,Pitman,1913, Pp105- 106

٥٧. Mazar, Amihai, survey of the Jerusalem Aqueducts in leichtwiss –inscitutfu wassebau mitte- llunaen, Heft 82/ 1984, p. 17.

٥٨. Har- El, Menashe, The ancient water supply of Jerusalem in Ariel. Jerusalem, number 39, 1975, pp10- 11.

٥٩. Amit, David, What was the Source of Herodion's Water?,Liber Annuus .XLIV,Jerusalem 1994,Pp. 561–578, p569

٦٠. Amit David, What was the Source of Herodion's Water?, Liber Annuus .XLIV, Jerusalem 1994,Pp. 561–578,p570

٦١. Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Excavation in the holy land, Vol 2, Oxford 1976, p509.

٦٢. -Ovadiah، A. and de Silva، C. G. Supplementum to the Corpus of the By .antine Chuches in the Holy Land,Levant,1981,volume XIII. p218

٦٣. Ovadiah، A. and de Silva، C. G. Supplementum to the Corpus of the Byzantine Chuches in the Holy Land, Levant,1981,volume XIII, Pp 218- .219

٦٤. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol. 2,edited by Ephraim Stern, Jerusalem, .1993, Pp 624- 625

٦٥. Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Exca-

vations in the Holy Land Vol. 2,edited by Ephraim Stern, Jerusalem,1993, .P626

٦٦. Netzer, Ehud, Herodiom 1984- 1985, Excavation and surveys in Israel, .1986,vol. V, Jerusalem 1986

٦٧. أبوأعمر، إبراهيم، معاصر العنب في العصر البيزنطي (منطقة بيت لحم) ، المؤتمر الدولي، التراث المعماري، الواقع وتحديات الحفاظ، غزة ٢٠٠٨، ص ٣٠٣

٦٨. Netzer, Ehud, The Architecture of Herod, the Great Builder, Baker Aca-.demic 2008، pX

٦٩. http:// www. jpost. com/ LocalIsrael/ AroundIsrael/ Article. aspx?id=188111

٧٠. http:// www Eurekalert. org/ pub_releases/ 2007- 05/ thuotok050807. php

٧١. Wordpress. com/ 2010/ 15/ herods- royaltheaters- seats http:// holekto .

٧٢. http:// ancient- tides- blogspot. com/ 2008/ 11/ more- remains- of- king- herods- tom- are. html

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

١. أبوأعمر، إبراهيم، معاصر العنب في العصر البيزنطي (منطقة بيت لحم) ، المؤتمر الدولي، التراث المعماري، الواقع وتحديات الحفاظ، غزة ٢٠٠٨.

٢. اولبريت، وليم ف، آثار فلسطين، ترجمة د. زكي اسكندر وآخرون، عكا ١٩٨٨.

٣. توماس ل. تومبسون»القدس أورشليم العصور القديمة بين الثورة والتاريخ، ترجمة فراس السواح، بيروت ٢٠٠٣.

٤. الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الجزء الأول القسم الأول، ط٢ رابطة الجامعيين الخليل ١٩٧٣.

٥. الروحنه، مسلم، عهد الحارث الرابع، عمان ٢٠٠٢.

٦. الشوف، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي (منذ فجر التاريخ حتى ١٩٤٩) بيروت ١٩٨٨.

٧. الشوف، قاسم، فلسطين التاريخ القديم الحقيقي منذ قبل التاريخ حتى الخلافة العباسية، بيروت ٢٠٠٤.

٨. القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة ترجمة القمص مرقس داود، ط٢ القاهرة ١٩٧٩.

٩. جقمان، حنا، جولة في تاريخ الأرض المقدسة، الجزء الأول بيت لحم منذ أقدم الأزمنة حتى ١٨٠٠م، بيت لحم ١٩٩٢.

١٠. حزبون، لويس، علم الآثار والأرض المقدسة دراسة نظرية وتطبيقية، جامعة بيت لحم ١٩٩٥، ص١٤٦.

١١. زيادة، نقولا، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد٢، بيروت ١٩٩٠.

١٢. ساند، شلومو، اختراع الشعب اليهودي، ترجمة سعيد عياش، رام الله ٢٠١٠.

١٣. قاسمية، خيرية، نقولا زيادة في ميزان التاريخ، مراجعة وتقديم محمد عدنان البخيت، عمان ٢٠٠٨.

١٤. هود الفرنسيسي، الأب يوجين، مختصر دليل الأراضي المقدسة، ترجمة الأب دوارد تامر والأب جورج البستاني، القدس ١٨٤٧ط ١٩٨٤.

١٥. ولكنسون، جون، القدس تحت حكم روما وبيزنطة ٦٣ ق م- ٦٣٧ م، في كتاب القدس قي التاريخ، تحرير وترجمة د. كامل العسلي، عمان ١٩٢٢.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

1. *Amit, David, What was the Source of Herodion's Water?, Liber Annuus XLIV, Jerusalem 1994, Pp. 561–578*
2. *Avi- yonah, Michael, Herodium. In Encyclopedia of Archaeological Excavation in the holy land Vol. 2,Oxford 1976, Pp. 502- 510*
3. *Baedeker, K, Jerusalem and its surrounding, London 1876 Jerusalem , carta- Re print 1973.*
4. *Baldensperger, Philp, The immovable East. Studios of the people and customs of Palestine, London, Pitman,1913.*
5. *Har- El, Menashe, The ancient water supply of Jerusalem in Ariel. Jerusalem,number,39,1975.*
6. *Josephus, complete work, translated by William Whiston, AM. Michigan 1960.*
7. *Mazar, Amihai, survey of the Jerusalem Aqueducts, in Leichtwiss –Inscitut fur Wasserbau der Technischen Universitat Braunschweig MitteIlungen, Heft 82/ 1984.*
8. *Netzer, Ehud, Herodiom 1984- 1985, Excavation and surveys in Israel,1986,vol. V, Jerusalem 1986.*
9. *Netzer, Ehud, Herodium (Notes and News) ,Israel Exploration Journal. vol 22, 1972, p248.*
10. *Netzer, Ehud, The Architecture of Herod, the Great Builder, Baker Academic 2008,pXII*
11. *Netzer, Ehud, Herodium An Archaeological Guide, Jerusalem 1987.*
12. *Netzer, Ehud, Greater Herodium, Qedem, vol 13,Jerusalem1981.*
13. *Netzer, Ehud, Herodium. In The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol. 2,edited by Ephraim Stern, 618- 626. Jerusalem, Israel Exploration Society & Carta; New York, Simon & Schuster,1993*
14. *Ovadiah, A. and de Silva, C. G, Supplementum to the Corpus of the Byzantine Churches in the Holy Land, Levant, 1981, volume XIII. p200-261.*

15. *Pearlman, M, historical sites in Israel, 1985.*

16. *Richardson, Peter, Herod King of the Jews and friend of the Romans,Carolina,1996.*

17. *Segal, Arthur, Herodion, Israel Exploration Journal 23 [1973], pp. 27-29.*

18. *Wilson, Charles, et al. , The Survey of Western Palestine, Special Papers. London: Palestine Exploration Fund,1881.*

19. *http:// www. jpost. com/ LocalIsrael/ AroundIsrael/ Article. aspx?id=188111*

20. *http:// www. eurekalert. org/ pub_releases/ 2007- 05/ thuo- tok050807. ph*

21. *http:// holektoWordpress. com/ 2010/ 15/ herods- royaltheaters- seats*

22. *http:// ancient- tides- blogspot. com/ 2008/ 11/ more- remains- of- king-herods-tom-are. html*